لَفْظَتَا " الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ " فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ دِرَاسَةٌ نَحْوِيَّةٌ نَصِيَّةٌ

د. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُصْطَفَى الشَّنْقِيطِيِّ*^١

مستخلص. لقد وردت لفظتا { الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ } في مواضع متعددة من كتاب ربنا العزيز، فتارة تأتي اللفظتان معا في الآية الواحدة، وتارة أخرى تأتي كل منهما منفردة ، وفي سور بعينها تتكرر اللفظة منهما دون الأخرى، ففي الأنفال قد تكرر ورود لفظة {النبى} ثلاث مرات، ولم يأت بها لفظة {الرسول}، كذلك في الأحزاب قد وردت لفظة {النبى} اثنتي عشرة مرة ، ووردت لفظة {الرسول} مرة واحدة. من أجل ذلك قد تناول البحث الأثر النحوي الدلالي على النص القرآني للفظ { الرَّسُولِ } معجميا ونحويا وصرفيا ودلاليا، كما نظر في الأثر النحوي الدلالي لكلمة {النبي} من الناحية المعجمية والصرفية والنحوية والدلالية، وذلك من خلال إحصاء مواضع ورودهما في القرآن الكريم، وإنعام النظر وإمعانه في سياق كل موضع قد وردتا به؛ من أجل استنتاج مضامينهما، واستنباط مطاويهما.

* د/ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُصْطَفَى الشَّنْقِيطِيِّ ، أستاذ مشارك بقسم اللغة والنحو والصرف - كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة.

المُقَدِّمَةُ

تمتاز لغتنا الخالدة بعنايتها الفريدة بالعلاقات العميقة بين نسيج النصوص ومكوناتها؛ وفي القلب منها المفردات التي تشكل البنية المركزية واللبنة الأولية لبناء النص.

لقد وردت لفظتا {الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ} في مواضع متعددة من كتاب ربنا العزيز، فتارة تأتي اللفظتان معا في الآية الواحدة، وتارة أخرى تأتي كل منهما منفردة ، وفي سور بعينها تتكرر اللفظة منهما دون الأخرى، ففي الأنفال قد تكرر ورود لفظة {النبى} ثلاث مرات، ولم يأت بها لفظة {الرسول}، كذلك في الأحزاب قد وردت لفظة {النبى} اثنتي عشرة مرة ، ووردت لفظة {الرسول} مرة واحدة.

من أجل ذلك قد تناول البحث الأثر النحوي الدلالي على النص القرآني للفظ {الرَّسُولِ} معجميا ونحويا وصرفيا ودلاليا، كما نظر في الأثر النحوي الدلالي لكلمة {النَّبِيِّ} من الناحية المعجمية والصرفية والنحوية والدلالية، وذلك من خلال إحصاء مواضع ورودهما في القرآن الكريم، وإنعام النظر وإمعانه في سياق كل موضع قد وردتا به؛ من أجل استنتاج مضامينهما، واستنباط مطاويهما.

ذلکم، وقد لفت البحث إلى تلك العلاقة بين الأبواب النحوية ودلالة تلك الأبواب، مبينا أن القدماء لم يكونوا غافلين عن هذا الارتباط الذي يساهم في إبراز

دلالة النص، وتوضيحه من خلال ارتباط الكلمات بعضها ببعض في إطار سياق محكم نحويا ودلاليا. ذَلِكَ ، وَقَدْ تَأَلَّفَ الْبَحْثُ مِنْ مُقَدِّمَةٍ ، وَمَبْحَثَيْنِ اثْنَيْنِ ، وَخَاتِمَةٍ ، وَتَبَّتْ بِأَهَمِّ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ . وَلَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ كُلُّهُ مَنْسُوقًا عَلَى النَّحْوِ التَّالِي:

١- المُقَدِّمَةُ : تَتَأَوَّلَتْ أَهَمِّيَّةَ الْمَوْضُوعِ ، وَأَسْبَابَ اخْتِيَارِهِ ، وَخُطَّتُهُ ، وَأَهْدَافَهُ الْمَرْجُوءَةَ ، وَمَنْهَجَهُ.

٢- التَّمْهِيدُ : { بَيَّنَّ النَّحْوُ الْوُظُفِيَّ وَالنَّحْوُ الدَّلَالِي النَّصِّي }.

٣- الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ : { الْقِيَمَةُ النَّحْوِيَّةُ الدَّلَالِيَّةُ لِلْفُظَّةِ " الرَّسُولِ " }.

٤- الْمَبْحَثُ الثَّانِي : { الْقِيَمَةُ النَّحْوِيَّةُ الدَّلَالِيَّةُ لِلْفُظَّةِ " النَّبِيِّ " }.

٥- الْخَاتِمَةُ : خُتِمَ الْبَحْثُ بِذِكْرِ أَهَمِّ النَّتَائِجِ وَالنِّمَارِ مِنْ خِلَالِ مَبَاحِثِهِ ، وَالتَّوَصِيَّاتِ الَّتِي تَوَصَّلَ إِلَيْهَا.

التَّمْهِيدُ

بَيَّنَّ النَّحْوُ الْوُظُفِيَّ وَالنَّحْوُ الدَّلَالِي النَّصِّي

ثمة بون شاسع بين الوظيفة النحوية للفظ المفردة ودلالاتها في التركيب في سياق لغوي خاص يكون من خلاله منسوقا في سياق عام؛ لغوي وغير لغوي، مقالي ومقامي، منطقي وعقلي، حتى خارج سياق اللغة بالإحالات الخارجية وعبر التداولية الخطابية؛ فتكتسب المفردة - ساعتئذ - معاني جديدة لم تكن تحملها من قبل، وعند ذلك تبرز بنصوع وجلاء حقيقة دور النحو وأثره وجَدَّاهُ في مباشرة عمله في النص

إذ إن وشائج ذلك كله يُعدُّ ركيزة النص الذي " هو رسالة لغوية تشغل حيزاً معيناً، فيها جديلة محكمة مضفورة من المفردات والبنية النحوية"^(٤) وهو - أيضاً - " بنية شمولية لبنى داخلية من الحرف إلى الجملة إلى السياق إلى النص المكتمل في دلالاته المكتفي بذاته"^(٥).

السياق معياراً نصياً:

كما أُلْفِتْ إلى أن المقصود بالدراسة النحوية النصية في العنوان أنها دراسة نابعة من سياق النص القرآني؛ السياق العام والخاص، والذي يعد من أهم وأجلى معايير الدرس النصي.

ففي هذا المعيار يتجلى السياق بوصفه محوراً تدور حوله المفردات المتمثلة في البيئة المحيطة بالنص، فضلاً عن أهمية دوره في التحليل النصي، فكثيراً ما يقترن السياق بالمعنى ويتلازم معه^(٦)، فالمعنى لا ينكشف إلا من خلال تسويق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة، إذ أن معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، ومعاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها^(٧). وقد وصف الباحثون في علم النص "المقامية" بأنها واحدة من أهم العناصر التي تقوم عليها النصية، وذلك لقناعتهم ((بأن دراسة النص ، لن تكون كافية

للغوي، وفي ديدبانه النص القرآني الفذ ذو النسق الفريد.

إن النحو يمكن أن تصدق عليه مقولة: {نَضِجَ حَتَّى احْتَرَقَ}؛ من جهة ثبات قواعده وثبات أنظمتها وصرامة مَقْعِدِيهِ، بيد أنه لن يبيد ألبتة، ولن ينتهي أثره كآلية منقطعة النظر في تحليل النصوص، ذلك الجانب التطبيقي الذي يجدد السمات، ويُعيد إلى النحو حيويته وبهائه؛ ومن ثم كان هذا البحث آية بينة على ذلك من خلال التطبيق على لفظتي {الرسول والنبى} من خلال تبين وتباين معنى كل منهما من خلال السياق اللغوي الخاص بالآيات التي وردت فيها اللفظة، وما سبق الآية من سياقات لغوية وما تلاها، وبالاختكام - أيضاً - إلى السياق اللغوي الكلي العام للسورة الواردة فيها تلكم الآيات.

إن هذا الجانب التطبيقي هو الذي يَمِيْزُ الأعمال النحوية بعضها عن بعض، وإنه لعمَلٌ شاق غير هَيِّنٍ وَلَا لَيِّنٍ، غير أن نفعه بَيِّنٌ، وثماره مرجوة، وعطاءه غير مجذوذ، فالنحو الدلالي النصي النابع من التطبيق السياقي كنز ما له من نفاذ.

وَأُلْفِتْ هنا إلى أن المقصود بالدراسة النحوية في عنوان البحث هو النحوُ بمفهومه الأشمل ومجاله الأرحب الذي يضم تحت عباءته البنية الصرفية - سيرا على ما ذكره ابن جني في خصائصه^(٨)، وكذلك البنية" الصوتية، والمعجمية، والتركيبية ، والدلالية"^(٩)؛

^(٤) (السابق- ص ١٥).

^(٥) (علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات- ص ١٤٦).

^(٦) (دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة: كمال بشر: ٦٦ - ٦٧).

^(٧) (اللسانيات والدلالة، ص ٦٦ - ٦٧).

^(٨) (الخصائص- ج/١ ص ٣٤).

^(٩) (الإبداع الموازي- ص ١٥، ١٦، ٢٩).

أولاً: الدلالة المعجمية

أرسل الشيء: أطلقه ، وأهمله . (أرسلت الطائر من يدي): تركته . ويقال : أرسل الكلام: أطلقه من غير تقييد. والرسول هو المرسل برسالته. وتأتي الكلمة (المذكر والمؤنث والواحد والجمع)، قال : **إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**^(١٠)، ويجمع على {رسل وأرسل}، وفي الشرع هو من يبلغ عن الله^(١١). وفي لسان العرب قال أبو بكر بن الأبنودي في قول المؤذن: (أشهد أن محمدا رسول الله) معناها: أعلم وأبين أن محمدا متابع للإخبار عن الله - والرسول: معناه في اللغة الذي يتابع الأخبار، أخذنا من قولهم: جاءت رسلا؛ أي متتابعة.

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري في مادة (رسل) ^(١٢) {راسله في كذا : بينهما مكاتبات ومراسلات . وتراسلوا وأرسلته برسالة وبرسول، وأرسلت إليه أن أفعل كذا، وأرسل الله في الأمم رسلا ، وأرسل في الفحل ، وأرسل كلبه وصقره على الصيد، وأرسل يده على يده بعد المصافحة ، ووجهت إليه رسلي أرسالا متتابعة يعني: رسلا بعد رسل، جماعة بعد جماعة. وفي مشية هذه الدابة استرسال إذا لم يكن فيها سرعة. وجمل رسل ورجل رسل : فيه لين واسترسال. ونوق مراسيل رسلان القوائم. وشعر رسل مترسل. وعلى رسلك على هينتك أي أرود قليلا . كما تقول رويد. وجاء فلان على رسله: على توده. وامرأة

بالوقوف فقط عند بنيته النحوية أو الدلالية الداخلية، بل لابد من دراسته على مستوى الخطاب، وهذا يعني الاهتمام ببنية السياق والعلاقات بينها وبين النص^(٨). وهكذا كان "المقام" واحدا من المقومات الفاعلة في تماسك النص، وأصبحت "المقامية" أي مدى ملائمة النص للسياق الذي يرد فيه ، من معايير الحكم على النص بالقبول^(٩).

وقد عني أسلافنا من المفسرين ومعربي القرآن عناية فائقة بالجانب السياقي، وعدوه مدخلا رئيسا عند سبر أغوار الكتاب العزيز لفهم غوامض معانيه، والوقوف على صور إعجازه، والترجيح بين الآراء في وجوه تفسيره.

الْمُبْحَثُ الْأَوَّلُ

الْقِيَمَةُ النَّحْوِيَّةُ الدَّلَالِيَّةُ لِلْفَتْةِ {الرَّسُولِ}

يمكن إدراك معنى الكلمة من خلال ارتباطها مع غيرها من المفردات في السياق؛ لأن الكلمة تظل عامة الدلالة حتى تتعلق بغيرها من المفردات (اسم - فعل - حرف)؛ فتخصص في معنى محدد ودلالة معينة، وقد تصل هذه الدلالات للكلمة الواحدة إلى حد التناقض، مثل: (رغبت في ، ورغبت عن)، فالفعل (رغبت) عام الدلالة حتى يتضام مع (عن) أو (في)؛ فتنتج له دلالة جديدة مكونة من الدلالة الأصلية إلي جانب دلالة الحرف.

^(٨) مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية دي بوجراند وديرسلر، ص ٣٤.

^(٩) مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية دي بوجراند وديرسلر، ص ٩٨.

^(١٠) سورة الشعراء، جزء من الآية {١٦}.

^(١١) المعجم الوسيط، مادة {رسل}.

^(١٢) أساس البلاغة - ج ١ / ص ٣٥٣.

تشومسكي في هذه البنية السطحية الصحة النحوية.^(١٦)

وما نخلص إليه هو أن أي زيادة في مبنى الكلمة (تصريفها) هي زيادة في المعنى الدلالي لها، مثال ذلك دلالة كل من الفعل { دل واستدل }، والفعل { نصر واستنصر }، فهذه الزيادة في مبنى الفعل أضافت دلالة جديدة له، وغيّرت من معنى الفعل. ومن هنا كانت أهمية تناول الدلالة الصرفية لكلمة (الرسول). كلمة رسول على وزن {فعلول}، و{فعلول} يأتي للواحد والجمع والمذكر والمؤنث، قال تعالى: (فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي) ^(١٧)؛ بمعنى أعداء. ^(١٨)

وجاء في مادة (رسل) أرسلت رسولا : بعثه برسالة يؤديها، فهو فعول بمعنى ،مفعول ، ويجوز استعماله بلفظ واحد للمذكر والمؤنث ، والمثنى والجمع، فيجمع على رُسُل بضمّتين، وإسكان السين لغة أخرى (رُسُل). وترسل القوم : أرسل بعضهم إلى بعض (رسولا). ^(١٩)

كما ورد أرسل الشيء: أطلقه وأهمله، وأرسل الرسول: بعثه برسالة، وراسله؛ أي: أرسل إليه رسولا أو رسالة. ورسَل القراءة : رتل وحقق بلا عجلة، وفي الحديث: (كان في كلامه ترسيل) ^(٢٠) . استرسل الشيء؛ أي : سَلِسَ وإليه انبسط واستأنس. والرسالة:

مراسل مات بعدها فبينها وبين الخطاب مراسله. وفي أعناقهن مراسل : قلائد . وترسل في قراءته : تمهّل فيها وتوقّر وقيل: " إذا أذنت فترسل . ورسَل قراءته : رسلها .ومن المجاز : أرسل الله عليهم العذاب . وأنا أسترسل إلى فلان : أنبسط إليه . وتقول العرب (السهم رُسُلُ المنايا) .

قال البحثري في تسليّة رجل محبوس:

أَمَّا فِي رُسُولِ اللَّهِ يُوسُفَ أُسْوَةٌ لِمِثْلِكَ مَحْبُوسًا عَلَى الظُّلْمِ وَالْإِفْكِ ^(٢١)

وقال أبو الفضل بن الأحنف:

وَأَنَّ الشُّوقَ قَدْ أَبْلَى عِظَامِي وَلَيْسَ يَزُورُنِي مِنْكُمْ رَسُولٌ ^(٢٢)

ثانيا: الدلالة الصرفية لكلمة (الرسول)

إن الدلالة الصرفية لا تقل أهمية في إيضاح المعنى المراد من الكلمة عن الدلالة النحوية ، فكل حرف يضاف على أصل الكلمة يضيف معنى ودلالة جديدة ، وقديما قالوا عن الزيادة: إنها المعترض بين شيئين متضامين، وإن لم يصح المعنى بإسقاطه ^(٢٣). وعلى هذا يفهم أن العنصر الزائد ليس دائما غير مفيد للمعنى، وإنما مالا يستغنى الكلام عنه، وهذا يتفق مع الاتجاهات اللغوية الحديثة، خاصة الاتجاه التحويلي التوكيدي الذي يرى أن الجملة تتكون من بنية سطحية، وهي اللفظ المنطوق، وبنية عميقة، وهي المعنى المفهوم من هذه البنية، وإن أي زيادة في البنية السطحية هي زيادة في البنية العميقة ؛ أي تضيف معنى جديدا إلى المعنى الأصلي، واشترط

^(١٦) العربية وعلم اللغة البنيوي- ص ٢٣.

^(١٧) سورة الشعراء، جزء من الآية ٧٧.

^(١٨) المخصص لابن سيده - ص ٣٨.

^(١٩) المصباح المنير، مادة (رسل).

^(٢٠) غريب الحديث لابن الجوزي- ج ١/ ص ٣٩٤ *النهاية في غريب

الأثر- ج ٢/ ص ٢٢٣.

^(٢٣) من الطويل. أحسن ما سمعت - ج ١/ ص ٤١.

^(٢٤) من الوافر التام.

^(٢٥) مغنى اللبيب - ٣٤٥/١.

ما يرسل. ورسالة الرسول: ما أمر بتبليغه عن الله ، ودعوته الناس إلى ما يوحى إليه، والجمع رسائل. والرسل: الذي فيه لين ورفق. الرسول: المرسل بالذكر والمؤنث والواحد والجمع، ويجمع على رسل، وأرسل. والرسيل: الرسول والمراسل وهو الواسع السهل. والمرسال: الرسول والجمع مراسيل. وفي التنزيل: ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢١)، ولم يقل رسل لان (فعل وفعل) يستوي فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع مثل صبورا.^(٢٢)

والرسول اسم من الفعل {أرسلت}، وكذلك الرسالة وأرسلت فلانا برسالة ، فهو مرسل ورسل ، وقد أرسل بنو فلان زميلهم، كأنه فعيل بمعنى مفعول ومفعول أي رسيل ومرسول ومرسل، ومن الدلالات الصرفية للفعل أرسل في قوله: (أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْرَهُمْ آزًا)^(٢٣)

قال الزجاج: " في معنى قوله (أرسلنا) وجهان: أحدهما: خلينا الشياطين وإياهم فلم نعصمهم منهم. والثاني: معناه التسليط؛ أي تسليط الشياطين عليهم". والفرق بين إرسال الله - - أنبياءه، وإرسال الشياطين على أعدائه. أن إرسال الأنبياء وحيه إليهم، وإرسال الشياطين على الكافرين تخليته وإياهم^(٢٤)

ثانيا: الدلالة النحوية

المقصود بالمعنى النحوي الدلالة التي يكتسبها اللفظ المفرد في الوظيفة النحوية من خلال الجملة التي وضع فيها، وهذه الوظيفة النحوية هي الأبواب النحوية، مثل الفاعلية والمفعولية والابتداء والخبر، وغيرها من الوظائف النحوية.

والمعنى المعجمي مع الوظيفة النحوية يكونان معا الدلالة الخاصة باللفظ المفرد في تركيب النص، واللفظ يتفاعل مع (المعنى النحوي) من فاعلية أو مفعولية أو حالية؛ بحيث يكتسب هذا اللفظ إذا كان فاعلا -مثلا- معنى جديدا لا يكتسبه لفظ آخر في الوظيفة نفسها . ففي قوله: (وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ)^(٢٥) ندرك أن الفعل في (بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ) يختلف في المعنى عن (بطشتم)؛ لأن الحال مع الفعل الثاني تفاعل مع الفعل أو فاعله بعلاقة جديدة ليس موجودة في (بطشتم) وحده .^(٢٦)

تعد الدلالة النحوية للكلمة في إطار النص من أهم الأسس التي اعتمد عليها المفسرون في تفسير كلام الله - - وكذلك النحاة في وضع قواعد اللغة، فالأبواب النحوية (الفاعلية، المفعولية - المبتدأ، الخبر)، تدل على معنى في ذاتها، والنص الجيد لا بد أن يقوم على اختبار المفردات في نظام نحوي صحيح نحويا ودلاليا، وقد كان الحمل على المعنى وسيلة دلالية بارعة، ربطت بين بناء الجملة وبنيتها، أو بين سطحها وعمقها في منهج النحاة العرب، وكشفت عن دور المعنى أو الدلالة في التقعيد

^(٢١) سورة الشعراء ، جزء من الآية {١٦} .

^(٢٢) لسان العرب ، مادة (رسل).

^(٢٣) سورة مريم ، الآية {٨٣} .

^(٢٤) معاني القرآن وإعرابه - ص ٨٥ .

^(٢٥) سورة الشعراء، الآية {١٣٠} .

^(٢٦) النحو والدلالة - ص ١٦ .

مجال المؤكد بأن أو غيرها من الأدوات، أو في مجال الإضافة وتضامها مع غيرها من الكلمات. كل ذلك يعطي دلالات جديدة بالإضافة إلى الدلالة المعجمية الأولية لكلمة الرسول تناسب السياق، هذا ما رأيناه عند عبد القاهر الجرجاني في نظريته النظم التي تتلخص في أن الاختبار بين المفردات في نظام نحوي محكم هو الذي ينتج جملا صحيحة^(٢٩) نحويا ودلاليا.

ففي قوله: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ).^(٣٠)

للفظ الرسول دلالة جديدة بعد دخول فعل الكينونة (يكون)، ولل فعل في المضارعة دلالة جديدة - أيضا- أفادت التوكيد على أن الرسول- - سوف يكون شهيدا على أمته يوم القيامة؛ لأن الله - سبحانه!- يأتي به يوم القيامة، ويسأله عن حال أمته، فيزيكهم، ويشهد بعدالتهم^(٣١)، وقد دلت هذه الآية على التنويه بالشهادة وتشريفها، والأمة لا تشهد على النبي، ولكن الذي يشهد على النبي هو الله، ويشهد الرسول على أمته، وفي تقدم متعلق بالشهادة

النحوي، والنص اللغوي وحدة متلاحمة من صورته المنطوقة ونظامه النحوي الذي يحكمه، وصورته المنطوقة هي (مفرداته) المصوغة في الجملة، هذه المفردات وقوانينها الصوتية والصرفية ودلالاتها المعجمية، ونظامها النحوي هو الهيئة التركيبية التي توجد عليها هذه المفردات منظومة في الجملة من الفاعلية المفعولية والظرفية والحالية، وغير هذه وتلك من الوظائف النحوية ؛ والتلاحم بين المفردات ووظائفها النحوية هو تفاعل دلالي نحوي معا لا يمكن الفصل بينهما، والدلالة النحوية التي ينهض النظام النحوي الكامن وراء المفردات المنطوقة مع الدلالة المعجمية تشكلان معا (معنى) الكلمة في الجملة.^(٣٢)

هذا ما وجدناه عند عبد القاهر في نظريته عن النظم التي يمكن تسميتها (المعنى النحوي)، وهو اختيار دقيق بين اللفظ ووظيفته النحوية التي يحددها له النظام النحوي في الجملة^(٣٣). وسيعنى البحث بالمعنى النحوي (الدلالة النحوية) لكلمة (الرسول)، كما وردت في القرآن من خلال سياق الآيات.

ورد لفظ الرسول في القرآن في ثلاث وأربعين آية، وقد تكرر في بعض الآيات سوف نذكرها في حينها- إن شاء الله.

وتعددت الأبواب النحوية التي وردت فيها هذه الكلمة بين الفاعلية والمفعولية والنداء والابتداء، أو في

^(٢٩) ((النحو والدلالة- ص ١٧١.

^(٣٠) ((سورة البقرة ، الآية {١٤٣}.

^(٣١) ((الكشف- ٩٦/١ .

^(٣٢) ((النحو والدلالة، محمد حماسة- ص ١٦٢.

^(٣٣) ((المرجع نفسه - ص ١٦٤.

(عليكم) دلالة نحوية جديدة، وهي اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم أنفسهم.^(٣٢)

وقال تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْزِئِينَ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)^(٣٣). الرسول في هذه الآية فاعل، والفاعلية لها دلالة خاصة في النحو، ومعناه الاسم الذي فعل الفعل أو يفعله الآن أو في المستقبل^(٣٤). وفي ذلك دلالة نحوية هامة هي أن الرسول هو من قال: متى نصر الله في قوله: (حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ).

يتضح المعنى أكثر إذا علمنا أن كلمة حتى لها دلالتان، الأولى: بمعنى (إلى) ويكون المعنى (إلى أن يقول الرسول)، فهذا القول غاية لما تقدم من المس والزلزلة. والثانية: أن (متى) بمعنى (كي) وهي بذلك تفيد العلة ويكون المعنى مستهزئ البأساء والضراء وزلزلوا؛ كي يقول الرسول والمؤمنون متى نصر الله.^(٣٥)

ويقرأ الفعل بالرفع على أن يكون التقدير: وزلزلوا فقال الرسول ، فالزلزلة سبب القول^(٣٦). وسواء كان الفعل (يقول) مرفوعا أو منصوبا فالرسول في كلتا الحالتين فاعل ، وهو من قال: (متى نصر الله). وهذه الدلالة

النحوية تنطبق على قوله: (أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ)^(٣٧)، فالرسول في هذه الآية فاعل، وهو الذي آمن بما أنزل إليه من ربه، و (ال) في كلمة الرسول للعهد، والرسول علم بالغلبة على محمد -^(٣٨).

وفي سورة آل عمران ورد لفظ (الرسول) مرتين: قال: (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنْزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)^(٣٩)، فمن خلال سياق الآيات يتضح أن كلمة الرسول المقصود بها سيدنا عيسى -^(٤٠) وللسياق أهمية كبرى في تفسير القرآن يقول ابن دقيق العيد^(٤١): أما السياق والقرائن ، فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه، وهي المرشدة إلى بيان المجملات، والرسول في هذه الآية منصوب على المفعولية، وهذا كلام الحواريين، وهذا يدل على أنهم تلقوا عن عيسى -^(٤٢) فضائل من يشهد للرسول بالصدق^(٤٣)، ثم قال: (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).^(٤٤)

المقصود بالرسول في هذه الآية هو محمد -^(٤٥) لأن سياق الآيات السابقة كان الحديث فيها عن الإسلام قال -^(٤٦) في الآية السابقة: لَوْ مَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ

^(٣٧) سورة البقرة ، جزء من الآية {٢٨٥}.

^(٣٨) انظر البحر المحيط - ٥٣/١ .

^(٣٩) سورة آل عمران، الآية {٥٣}.

^(٤٠) محمد بن علي بن وهب بن مطيع تقي الدين القشيري من أكابر العلماء ، ولد سنة ٦٢٥ هـ، تولى قضاء الديار المصرية ، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٠٢ هـ، ومن مصنفاته (إحكام الأحكام)، وغيرها. الزركلي، الأعلام - ١/٢م.

^(٤١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد - ج ٢/ص ٢٥٥.

^(٤٢) سورة آل عمران، الآية {٨٦}.

^(٣٢) انظر: الدر المصون - ٣٤٤/١ .

^(٣٣) سورة البقرة ، الآية {٢١٤} .

^(٣٤) النحو الوافي - ٦/٢ .

^(٣٥) انظر الدار المصون ١٣٠/٣ .

^(٣٦) البيان في إعراب القرآن - ١٧٣/١ .

(وعصوك)، ولكن جاء الاسم الظاهر بصفة الرسالة بدل الضمير؛ تنويها بقدره وبشرفه.^(٤٩)

ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.^(٥٠) في هذه الآية تكرر لفظ الرسول مرتين، وفهما كان الأمر إلى المؤمنين بطاعة الله وطاعه رسوله؛ تشريفا للنبي، وهو منصوب على المفعولية في المرة الأولى، في قوله: ﴿-أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، يقول الطاهر ابن عاشور^(٥١): أمر الله بطاعة الله ورسوله، وذلك بمعنى طاعة الشريعة، فإن الله منزل الشريعة، والرسول مبلغها، وعلى المسلمين طاعة الرسول في اتباعها، وأعيد فعل الأمر (أطيعوا) مع الرسول مع أن حرف العطف يغني عن إعادته، ولكن إظهارا للاهتمام بتحصيل طاعة الرسول؛ ولينبه على وجوب طاعة الرسول فيما يأمر به.^(٥٢)

وقال- ﴿- في السورة نفسها: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.^(٥٣) فقد قال الله: ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾، ولم يقل {واستغفرت لهم}، خروجاً من الخطاب إلى الغيبة بالاسم الظاهر؛ لما فيه من

الإسلام ديناً فلن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ^(٤٣)، والرسول منصوب بأن، وأن تقيد التوكيد؛ حتى تدل -أيضاً- على تصميمهم على الكفر بعد إيمانهم، وبعد ما شهدوا بأن الرسول حق، وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت صدق الرسول.^(٤٤)

وفي سورة النساء تكرر لفظ الرسول تسع مرات، في ثمان آيات، وبالرجوع إلى كتب التفاسير كان جلها في مجال طاعة الرسول واتباع سنته وعدم معصيته والأمر بتصديق الرسول، وما جاء به من عند الله من الدين^(٤٥). وبالكشف عن دلالة اللفظ النحوية في كل آية من هذه الآيات نجد عجباً، قال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾^(٤٦)، ففي هذه الآية لفظ (الرسول) منصوب على المفعولية^(٤٧)، والمفعول له دلالة نحوية خاصة، وهي ما وقع عليه فعل الفاعل إيجاباً أو سلباً، ولا ينصبه إلا الفعل المتعدي وفروعه.^(٤٨) والرسول اسم جنس، وهو عوض عن الجملة الأخيرة في الآية السابقة، وهي (وجئنا بك)، والمراد بالرسول هو محمد -﴿- وكان النظم النحوي

^(٤٣) سورة آل عمران، الآية {٨٥}.^(٤٤) الكشف للزمخشري- ٣٥١/١.^(٤٥) انظر: تفسير الطبري ٤٩٦/٨، وتفسير القرطبي- ٢٥٨/٥، والكشاف- ٥٨٣/١.^(٤٦) سورة النساء، الآية {٤٢}.^(٤٧) الجدول في إعراب القرآن ٤٢/٥.^(٤٨) النحو الوافي- ١٥٠/٢.^(٤٩) الدر المصون- ٦٨٥/٣.^(٥٠) سورة النساء، الآية {٥٩}.^(٥١) أثبت ألف {ابن}؛ لأنه ليس والد الشيخ.^(٥٢) التحرير والتنوير- ٦٧/٥.^(٥٣) سورة النساء، الآية {٦٤}.

لما قبله^(٥٧)، وهو نداء من الله - سبحانه! - إلى رسوله؛ لشرح صدر النبي - - مما يحزنه من اليهود واستخفافهم، وافتتح الله الخطاب والنداء بأشرف الصفات وهي صفة الرسالة عن الله - ^(٥٨)!

وقال: يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ^(٥٩). فقد عاد الخطاب للرسول ثانية؛ لتثبيت قلبه وشرح صدره ، بأن يداوم على تبليغ الشريعة ، ويجتهد في ذلك، ولا يكثرث بالطاغين من أهل الكتاب والكفار^(٦٠)، وفي قوله أيضا في سورة المائدة: وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرُّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ^(٦١) يقول الرازي: الضمير في قوله: {سمعوا} يرجع إلى القسيسين والرهبان الذين آمنوا بالرسول، (وما أنزل) يعني القرآن، و(إلى الرسول) يعني محمدا - (٦٢) - والرسول في هذه الآية مجرور بحرف الجر (إلى) الذي يفيد انتهاء الغاية؛ أي أن القرآن أنزل إلى محمد - ^(٦٣)!

وفي سورة التوبة ورد ذكر الرسول في ثلاث آيات، في قول: أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا

التشريف والتنبية بوصف الرسالة^(٥٤)، والرسول في هذه الآية (فاعل)، وقد أشرنا إلى خصوصية هذا الباب النحوي ودلالته على قيامه بالفعل، وقد توسط الجار والمجرور (لهم) بين الفعل وفاعله؛ تخصيصا لهم، وأن الرسول يستغفر لهم، وفي قوله: - : مَنْ يُطِيعِ الرُّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا^(٥٥) نجد لفظ الرسول منصوبا على المفعولية بالفعل المضارع (يطع) ، وفي المضارعة دلالة الاستمرارية ، وقد جعل الله طاعة الرسول من طاعة الله في قوله: - : مَنْ يُطِيعِ الرُّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ .

وفي سورة المائدة ورد ذكر الرسول في ست آيات : جاء في مجال النداء في آيتين (يا أيها الرسول)، ومجروا بحرف الجر في ثلاثة مواضع، ومنصوبا على المفعولية في آية واحدة.

قال: يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ^(٥٦). فالرسول في هذه الآية بدل أو نعت من كلمة (أي)، وهو مرفوع تبعا

^(٥٧) (الجدول في إعراب القرآن - ج ٥ ، ص ٤٨

^(٥٨) (التحرير والتنوير - ١٩٦/٤ .

^(٥٩) (سورة المائدة ، الآية {٦٧} .

^(٦٠) (التحرير والتنوير - ٢٥٧/٦ .

^(٦١) (سورة المائدة ، الآية {٨٣} .

^(٦٢) (تفسير الرازي - ١٣٥/٦ .

^(٥٤) (الدر المصون - ١٨/٤ .

^(٥٥) (سورة النساء ، الآية {٨٠} .

^(٥٦) (سورة المائدة ، الآية {٤١} .

بإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّوْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخَشَّوْنَهُمْ قَالَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ^(٦٣). فكلمة الرسول في هذه الآية مضافة إلى (كلمة) إخراج^(٦٤)، والإضافة لها معانٍ نحوية مهمة، ودلالات نحوية متعددة؛ لأن اللفظ قبل إضافته إلى غيره يظل مطلقاً عاماً يحتمل أنواعاً وأفراداً كثيرة، ولكن الإضافة تقيد اللفظ، وتجعل المراد من اللفظ محددًا ومحصوراً في مجال محدد، فكلمة {إخراج} كلمة عامة، والرسول لفظ مفرد عام الدلالة، لكن بعد إضافتها، فلو لم تضاف كلمة الرسول إلى كلمة إخراج لأصبحت الكلمة مطلقة عامة الدلالة، فلما جاء القيد وهو كلمة الرسول هذا الإطلاق وتلك الاحتمالات، وقصر الفهم على معنى محدد، وهو إخراج الرسول، وهذه الدلالة تتضح من خلال تعريف النحاة للإضافة، فالتكملة في الإضافة تسمى (المضاف إليه)، ولا بد أن يسبقه (المضاف)، وكلاهما لا بد أن يكون اسماً واحداً، والمضاف إليه مجرور دائماً، أما المضاف فلا يلزم حالة إعرابية واحدة، بل يعرب على حسب حالة الجملة التي يكون فيها^(٦٥) يقول الطاهر ابن عاشور: "وأما مهمهم بإخراج الرسول فظاهره أنه حصل مع نكت إيمانهم، وأن المراد إخراج الرسول من المدينة؛ أي نفيه عنها"^(٦٦).

وأما قوله: لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^(٦٧)، فإن كلمة الرسول مرفوعة على الابتداء^(٦٨)، والمبتدأ في دلالاته النحوية العامة هو الاسم الذي يبدأ به الكلام، ويحتاج إلى خبر يتم معناه، وإنما كان الخبر متمماً للمعنى الأساسي؛ لأنه حكم صادر على المبتدأ، فالمبتدأ هو الشيء المحكوم عليه، وهذا يقتضي في الأغلب أن يكون المبتدأ معلوماً للمتكلم والسامع؛ حتى قبل الكلام؛ ليقع الحكم على شيء معلوم^(٦٩).

فكلمة الرسول مبتدأ [وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ] معطوفة على الرسول، والخبر جملة [جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ]، وافتتاح الكلام بحرف الاستدراك (لكن) أضاف دلالة جديدة تماماً، هي أن مضمون هذا الكلام نقيض مضمون الكلام الذي قبله؛ لأن المنافقين قعدوا عن الجهاد، ولكن المؤمنين على الضد من ذلك، وابتداء وصف حالهم بحال الرسول دليل اتباعهم له، وهو أصل كمالهم وخيرهم^(٧٠).

وفي قوله: [وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ]^(٧١) نجد كلمة الرسول مضافة إلى كلمة صلوات، وقد بينا من قبل ما تقدمه الإضافة

^(٦٧) سورة التوبة، الآية {٨٨}.

^(٦٨) إعراب القرآن وبيانه- ١٤٩/٤.

^(٦٩) النحو الوافي- ٤٤٢/١.

^(٧٠) التحرير والتنوير- ٢٩٠/١٠.

^(٧١) سورة التوبة، الآية {٩٩}.

^(٦٣) سورة التوبة، الآية {١٣}.

^(٦٤) انظر الجدول في إعراب القرآن- ٢٩٣/١٠.

^(٦٥) انظر النحو الوافي عباس حسن- ٤/٣.

^(٦٦) التحرير والتنوير- ١٣٢/١٠.

من دلالات جديدة على المعنى الأصلي لكل كلمة بمفردها، وأن " {صلوات الرسول} فيها وجهان إعرابيان، أقربهما أنهما معطوفة على قربات، والمعنى: أن ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله، وصلوات الرسول قربات، وقربات مفعول ثان للفعل يتخذ" (٧٢). يقول الزمخشري: " ما ينفقه سبب لحصول القربات، وسبب لصلوات الرسول عليهم؛ لأن الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة لقوله: " اللهم صل على آل أبي أوفى". (٧٣)

وفي سورة يوسف ذكر لفظ الرسول مرة واحدة، ولم يكن المقصود بالرسول محمدا - - ولكنه رسول عزيز مصر إلى يوسف في السجن. عن النبي - - قال: " رحم الله أخي يوسف، لو أن أتاني الرسول بعد طول الحبس لأسرت إليه الإجابة، ولكنه قال للرسول: ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة" (٧٤)، والرسول في هذه الآية مرفوع على الفاعلية (٧٥)، وأنه هو الذي جاء إلى سيدنا يوسف.

وفي سورة طه ذكر لفظ الرسول مرة واحدة -أيضا- في قوله: " فَتَقَبَّضْتُ بِقَبْضَةٍ مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ (٧٦)، فلم يكن المقصود به محمدا - - ولكن المقصود بالرسول هو جبريل، يقول الزمخشري: " لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس؟ قلت: حسن حل ميعاد الذهاب إلى الطور أرسل الله إلى موسى

جبريل راكبا فرسا ، فأبصره السامري، فقبض قبضه من تربة موطنه". (٧٧)

قال: " وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨). أصل الآية الرسول شهيد عليكم؛ أي: يشهد على قومه بأنه بلغهم الرسالة. (٧٩)

وبدخول الفعل {يكون} على الجملة أعطاها دلالة نحوية جديدة؛ لأن الفعل (يكون) من الأفعال الناسخة، وسميت هذه الأفعال ناسخة؛ لأنها تحدث نسخا ؛ أي: تغييرا في إعراب الجملة (٨٠)، ودلالة (يكون) إفادة السامع أن الرسول منسوب له شيء، وهو الشهادة، وأن هذه الشهادة تتحقق في زمن حالي أو مستقبل، وهذا يناسب الموقف أن هذه الشهادة ستكون يوم القيامة.

وذكر هذا اللفظ في سورة النور ثلاث مرات، قال: " قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٨١)، في هذه الآية لفظ الرسول منصوب على المفعولية، ودلالته النحوية هي أمر من الله بطاعة رسوله ، وعطف طاعة

(٧٧) الكشف - ١٤٥/٣.

(٧٨) سورة الحج ، الآية {٧٨}.

(٧٩) تفسير ابن كثير - ١٥٤/٣.

(٨٠) مختصر تفسير ابن كثير - ٦١٤/٢.

(٨١) سورة النور ، الآية {٥٤}.

(٧٢) إعراب القرآن وبيانه - ١٦٥/٤.

(٧٣) الكشف - ١٨٧/٢.

(٧٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل - ١٦٦ / ٣ - ١.

(٧٥) إعراب القرآن وبيانه - ١٧٥/٤.

(٧٦) سورة طه ، جزء الآية {٩٥}.

كشف الصلة المعنوية بين المتضايقين، وما بينهما من ارتباط محكم، وعلاقة لا تظهر إلا من معنى حرف الجر، فهذه الحروف هي (من - في - اللام) ^(٨٥)، ولكل حرف من هذه الأحرف دلالة خاصة تحقق للغاية المعنوية من الإضافة ف {من} تدل على أن المضاف بعض من المضاف إليه. و{في} تدل على أن المضاف إليه يحوي المضاف، كما يحوي الظرف المظروف. و{اللام} تدل على ملكية المضاف إليه للمضاف، أو اختصاصه بنوع من الاختصاص، وفي إضافة الرسول إلى كلمة أخرى من الكلمات سيتضح دلالة هذه الحروف في الإضافة. وفي كلمة (دعاء الرسول) إضافة بتقدير حرف الجر (اللام)، وأفاد هذا الحرف التخصيص؛ أي أنه دعاء خاص بالنبي، ودعاء النبي يحتمل معنيين، الأول: دعوة الرسول إلى اجتماع المسلمين عنده لأمر ما؛ فلا يتفرقوا إلا بإذنه. والثاني: أن (دعاء النبي) بمعنى تسميتهم، وندائهم الرسول بينهم، وألا يكون دعائهم النبي باسمه الذي سماه به أبواه (محمد)؛ أي: لا تقولوا (يا محمد)، ولكن قولوا: يا نبي الله، ويا رسول الله، مع التوقير والتعظيم والتواضع. ^(٨٦)

وفي سورة الفرقان جاء لفظ الرسول في ثلاثة مواضع، الأول قوله: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ

الرسول على طاعة الله؛ لأن في طاعة الرسول طاعة لله -﴿- والمقصود بطاعة الرسول هو إتباع سنته؛ أي: اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله. وفي الآية الأخرى في سورة النور في قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ^(٨٢)، نجد كلمة الرسول منصوبة على المفعولية -أيضا- وفيها أمر من الله بطاعة الرسول، وذلك باتباعه وترك ما عنه نهرهم؛ لعل الله يرحمهم ^(٨٣). وفي الآية الثالثة قال: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْأَدًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ^(٨٤)، نجد لفظ الرسول مضافا إلى كلمة دعاء، وقد بينا من قبل الدلالة النحوية للإضافة، وأن الإضافة المحضة هي التي بين طرفيها قوة اتصال وارتباط، وليست على نية الانفصال لأصالتها، ولأنها لا يفصل بين طرفيها، وهما (المضاف والمضاف إليه)، وهي معنوية أيضا؛ لأنها تحقيق الغرض المعنوي الذي يراد منها تحقيقه، وهو استفادة المضاف من المضاف إليه التعريف أو التخصيص، ويجب اشتمال الإضافة على حرف جر أصلي مناسب اشتمالا أساسه التخيل والاقتراض لا الحقيقة، فيلاحظ وجوده مع أنه غير موجود إلا في التخيل.

والغرض من ذلك الاستعانة بحرف الجر على توصيل معنى ما قبله إلى ما بعده، والاستعانة به في

^(٨٢) سورة النور، الآية {٥٦}.

^(٨٣) انظر مختصر ابن كثير - ٦١٥/٢.

^(٨٤) سورة النور، الآية {٦٣}.

^(٨٥) النحو الوافي - ١٦/٣.

^(٨٦) الكشف - ٢٢٧/٣.

مَعَهُ نَذِيرًا^(٨٧) نجد كلمة الرسول بدلا مجرورا من اسم الإشارة هذا^(٨٨)، وفي كلمة (ها) دلالة الاستهانة والتصغير لشأنه من قبل المشركين. وتسميته بالرسول تحمل دلالة السخرية منهم، كأنهم قالوا: ما لهذا الزاعم أنه رسول حاله مثل حالنا، يأكل الطعام كما نأكل، ويتردد في الأسواق كما نتردد^(٨٩). والثاني قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا^(٩٠)﴾. فلفظ الرسول مجرور بالإضافة إلى الحرف (مع)، وبإضافة لفظ الرسول إلى الظرف (مع) اكتسبت دلالة جديدة، وهي أن الظالم يتمنى أن لو صحب الرسول، وسلك معه طريقا واحدا، وهو طريق الحق، ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى^(٩١). وأما الموضع الثالث من الفرقان فقوله: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا^(٩٢)﴾، فنجد كلمة الرسول مرفوعة على الفاعلية، ودلالة الفاعلية النحوية للفظ الرسول في هذه الآية أن الرسول توجه بالشكوى إلى الله من قومه؛ لأنهم تركوا القرآن، وهذا إنذار لقريش بأن الرسول توجه إلى ربه في هذا الشأن^(٩٣). وقد حكى الله شكواه إليه، وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية، وتخويف لقومه؛ لأن الأنبياء كانوا إذا التجأوا إليه، وشكوا قومهم حل بهم العذاب^(٩٤). وفي سورة

العنكبوت ورد ذكر الرسول مرة واحدة في قوله - ﴿وَأِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ^(٩٥)﴾. وهو واقع في باب القصر ب (ما وإلا)، ومجرور بحرف الجر (على)، ودلالة أسلوب القصر في هذه الآية هو أن الرسول محمد - ﴿- ليس عليه إلا البلاغ المبين، والمشركون بين خيارين، الأول: أن يؤمنوا بالله ويتبعوا الرسول. والثاني: أن يبقوا على إصرارهم وتكذيبهم للرسول. وفي الحالتين ليس على الرسول إلا تبليغهم بالرسالة^(٩٦)﴾.

وقال - ﴿- في سورة محمد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَصُرُوا لِلَّهِ شَيْئًا وَسيُحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ^(٩٧)﴾، ثم قال - ﴿- في الآية التالية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ^(٩٨)﴾. في كلتا الآيتين نجد لفظ الرسول منصوبا على المفعولية، ففي الآية الأولى تصوير لحال الذين شاقوا الرسول، وفي الثانية أمر باتباع سنته وعدم معصيته، وفي دلالة هاتين الآيتين يقول الطاهر ابن عاشور: "قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) اعتراض بين قوله: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ) وبين قوله: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ) لوبيّن قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾".

^(٨٧) سورة الفرقان، الآية {٧}.

^(٨٨) الجدول في إعراب القرآن - ٣٠٨/١٨.

^(٨٩) الكشاف - ٢٣٢/٣.

^(٩٠) سورة الفرقان، الآية {٢٧}.

^(٩١) إعراب القرآن وبيانه - ٦/٧.

^(٩٢) سورة الفرقان، الآية {٣٠}.

^(٩٣) التحرير والتنوير - ١٧/١٩.

^(٩٤) الكشاف - ٢٤٣/٣.

^(٩٥) سورة العنكبوت، الآية {١٨}.

^(٩٦) أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري - ١١٨/٤.

^(٩٧) سورة محمد، الآية {٣٢}.

^(٩٨) سورة محمد، الآية {٣٣}.

سيدنا موسى عليه السلام والذي يؤكد ذلك قوله :
فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ، والذي أرسل إلى فرعون
وقومه هو سيدنا موسى - وفي هذه الآية ضرب
الله المثل لأهل مكة بأنه أرسل محمدا رسولا ، كما
أرسل موسى من قبل إلى الطاغية فرعون ، ولكنه لم
يؤمن به ، وعصى أمره ؛ فكانت عاقبته الهلاك
والخزي .^(١٠٦)

وفي سورة البينة ورد لفظ [الرسول] في قوله - :
رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ^(١٠٧) ، ومن
لطائف ما قيل في تأويل [رسول] أنها " على البذل ،
ويجوز أن يكون بمعنى [هي رسول من الله] . قال
الأخفش سعيد : وفي حرف أبي (رسولا من الله)
على الحال . قال الضحاك : الرسول محمد - صلى
الله عليه وسلم - ! (يتلو صحفا مطهرة) قال :
القرآن " ^(١٠٨) .

المبحث الثاني

القيمة النحوية الدلالية للفظة {النبي}

لقد بينا من قبل اهتمام الباحثين والمفسرين بأهمية
النحو في تفسير النص وضرورة الاعتماد عليه في
تفسير القرآن الكريم ، والكشف عن خصائصه
وأساليبه العظيمة ، وحديثا قد اهتم علماء اللغة
وأصحاب النظريات اللغوية الحديثة بدور النحو
والقواعد النحوية في ترابط مفردات النص ، وأنه بدون
نظام القواعد النحوية يصبح النص مفككا لا معنى

ثم مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ .^(٩٩) ، فقد وجه الله الخطاب إلى
المؤمنين بطاعة الله وطاعة رسوله ، وتجنب مشاقة
الرسول ، كما فعل المشركون .^(١٠٠) وقال سبحانه في
سورة الفتح : بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ
وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ
وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا^(١٠١) . فكلمة
الرسول في هذه الآية فاعل للفعل ينقلب ؛ أي يرجع
من الحرب ، وقد تقدم الفعل أداة النفي (لن) ؛ أي أن
الرسول لن يرجع من الحرب ، وهو ومن معه من
المؤمنين واعتقاد المشركين أن الرسول ومن معه
سيقتلون ، وتستأصل شأفتهم ، ولا يرجع منهم
أحدا .^(١٠٢) وقال سبحانه في سورة التغابن :
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى
رَسُولِنَا النَّبَإُ الْمُبِينُ^(١٠٣) . فالرسول في هذه الآية
منصوبة على المفعولية ، وهو واقع بعد فعل الأمر
أطيعوا ؛ لأن الله يأمر عباده عامة بطاعة الله
وطاعة رسوله ؛ لأن كمال الإنسان وسعادته مرتبطة
بهذه الطاعة لله ولرسوله .^(١٠٤) وفي قوله في سورة
المزمل : فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا
وَبِيلاً^(١٠٥) نجد كلمة الرسول منصوبة على
المفعولية ، والمقصود بالرسول في هذه الآية هو

^(٩٩) سورة محمد ، جزء من الآية { ٣٤ } .

^(١٠٠) التحرير والتنوير - ٤٣٣/١٣ ، ٤٣٤ .

^(١٠١) سورة الفتح ، الآية { ١٢ } .

^(١٠٢) تفسير ابن كثير - ٣٣٧/٧ .

^(١٠٣) سورة التغابن ، الآية { ١٢ } .

^(١٠٤) أيسر التفاسير للجزائري - ج ٤/ص ٢٧٠ .

^(١٠٥) سورة المزمل ، الآية { ١٦ } .

^(١٠٦) التفسير الميسر - ٥٧٤/١ .

^(١٠٧) سورة البينة ، الآية { ٢ } .

^(١٠٨) إعراب القرآن ، النحاس - ج ٥/ص ٢٧٢ .

له، يقول رينه ويلك: "إن دارس الأسلوب لا يمكنه التقدم في حقله ما لم يلمَّ بالنحو بكل فروعه: بالصوتيات وعلم الأصوات الدالة بالصراف، وبالتركيب وعلم المعاجم، وعلم المعاني"^(١٠٩).

إذن المعنى لا يحصل من الكلمات المفردة المستقلة، أو الكلمات الحرة بل يأتي من الكلام، والكلام في تعريف القدماء ما تكون من مجموعة من الكلمات بشرط أن تفيد معنى، وإلا لا يعتبر كلاماً، وقد كانت نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز إدراكاً مبكراً لقيمة النص وتكامله وتربطه في جميع مكوناته الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية؛ حتى يكون نصاً مفيداً ذا معنى، وخاصة المستوى النحوي للنص، ويقول في ذلك: "وما ينبغي أن يعلمه الإنسان، ويجعله على ذكره أنه لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلمة أفراداً ومجردة من معاني النحو، فلا يقوم في وهم، ولا يصح في عقل أن يتفكر متفكر في معنى (فعل) من غير أن يريد إعماله في (اسم)، ولا أن يتفكر في معنى (اسم) من غير أن يريد إعمال فعل فيه، وجعله فاعلاً له أو مفعولاً، أو يريد فيه حكماً سوى ذلك من الأحكام، مثل أن يرد جعله مبتدأ أو خبراً أو صفة أو حالاً أو ما شاكل ذلك. وإن أردت أن ترى ذلك عياناً فاعمد إلى أي كلام شئت، وأزل أجزاءه عن مواضعها، وضعها وضعاً يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها، ثم انظر هل يتعلق

منك فكر بمعنى كلمة منها؟"^(١١٠). هذا هو دور النحو في ترابط النص، ومن هنا كانت الدلالة النحوية والصرفية والمعجمية لكلمة من الكلمات، كذلك ضرورة تناول هذه الدلالات لكلمة {النبي} في القرآن الكريم؛ حتى ندرك معنى هذا اللفظ ودلالاته في النص القرآني.

أولاً: الدلالة المعجمية

باستظهار بعض قواميس اللغة ومعاجمها نجد أن النبأ: الخبر، والجمع أنباء. وأنباه إياه؛ أي أخبره. واستنبأ النبأ/ بحث عنه. والنبى: المخبر عن الله - تعالى! - والنبى: الطريق الواضح^(١١١). النبى: المخبر عن الله - وتبدل الهمزة ياء، وتدغم، فيقال: النبى، والجمع أنبياء^(١١٢). وفي اللسان: النبى: العلو والارتفاع. والننوة والنبوة والنبى: ما ارتفع عن الأرض. والنبى: العلم من أعلام الأرض الذي يهتدي به، ومنه اشتقاق النبى؛ لأنه أرفع خلق الله؛ وذلك لأنه يهتدي به. قال ابن السكيت: النبى هو الذي أنبأ عن الله، والنبى من النبوة والنبوة، وهي الارتفاع من الأرض قدره، ولأنه شرف على سائر الخلف^(١١٣). وقال الكسائي: النبى الطريق، والأنبياء طرق الهدى. وقال أبو معاذ النحوي: سمعت أعرابياً يقول من يدلني على النبى؛ يعنى بذلك الطريق^(١١٤).

^(١١٠) دلائل الإعجاز - ص ١٤٨.
^(١١١) القاموس المحيط - فصل النون ٣/٣٤٦.
^(١١٢) المعجم الوسيط ٢/٨٩٦ - باب النون مادة [نبأ].
^(١١٣) الموسوعة الفقهية الكويتية - ج ٤٠/٣٦.
^(١١٤) لسان العرب - ٥/٨٢٦.

النبي: المخبر عن الله - تعالى!- وتترك الهمزة كثيرا، وتنطق نبي، وتقلب الهمزة ياء، وإدغامها في الياء الأخرى. والنبِيُّ على وزن فعيل، وهو مهموز؛ لأنه أنبأ عن الله؛ أي : أخبر عن الله، والإبدال والإدغام لغة فاشية، وقرئ بهما في القراءات السبعة^(١١٩). والنبي من الفعل نبأ وأنبا وخبر وأخبر وحدث، وهي من الأفعال المتعدية^(١٢٠). والأمر منه نبَّئ، قال الله-: ﴿نَبَّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(١٢١)، والمصدر منه (نبأ)، قال الله-: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(١٢٢). وتصغير نبَّي : نُبَّي . وأصل الفعل (نبأ)، وهو ثلاثي أصله(نبو). والنبأ بالهمز هو الخبر، والجمع أنباء، مثل سبب وأسباب. وأنبأته الخبر ونبأته به: أعلمته إياه. والنبَّي على وزن فعيل، وهو مهموز؛ لأنه أنبا عن الله؛ أي : خبره^(١٢٣). والنبي من الفعل نبأ وأنبا؛ أي أخبر. وتنبأ؛ أي ادعي النبوة. واستنبأ؛ أي طلب معرفة الخبر. والمصدر (نبأ)؛ أي خبر والجمع أنباء. والنبوة: هي سفارة بين الله - - وبين ذوي العقول من البشر، وتبدل الهمزة وتدغم، فيقال النبوة^(١٢٤). والنبي: العلم، ومنه اشتقاق النبي، وأصله غير الهمز. قال الزجاج: القراءة المجمع عليها في النبيين والأنبياء طرح الهمزة، وقد همز جماعة من

مما سلف نجد أن كلمة النبي تنحصر في الدلالات الآتية: (المخبر عن الله ، -الطريق الواضح- العلو والارتفاع- وما ارتفع عن الأرض- العلم من أعلام الأرض الذي يهتدى به)، وكل هذه المعاني تدل على الرفعة والعلو في المكان والمكانة، وهي صفات في النبي المرسل من الله - - وفي المعنى المعجمي لكلمة (النبي) قال الزمخشري^(١١٥) : أتاني نبأ من الأنباء، وأنبئت بكذا وكذا . ونُبِّئت واستنبأته: استخبرته؛ يعني طلبت معرفة الخبر. ونَبَّئ رسول الله - - واستنبئ. ورجل نابئ. وسيل نابئ: طارئ من حيث لا يدري . وسمعت نبأه؛ أي صوتا.

قال حنيش بن مالك :

أَلَا فَاسْقِيَانِي وَإِنْفِيَا عَنْكُمَا الْقَدَى فَلَيْسَ الْقَدَى بِالْعَوْدِ يَسْقُطُ فِي الْخَمْرِ

وَلَكِنْ قَدْ هَا كَلَّ أَشْعَثُ نَابِيٍّ أَتَيْنَا بِهِ الْأَقْدَارُ مِنْ حَيْثُ لَا نَذْرِي^(١١٦)

وقال - أيضا:

فَنَفْسُكَ أَخْرَجُ فَإِنَّ الْخُثُو فَتَنْبَأَنَّ بِالْمَرْءِ فِي كُلِّ وَادٍ^(١١٧)

وقال ابن المعتز:

نَبَأٌ خُبْرَتُهُ مِنْ مَعْشَرٍ أَخْرَجَتْ أَضْغَائِهِمْ حَيَاتٍ وَادٍ^(١١٨)

ثانيا: الدلالة الصرفية

^(١١٩) القاموس المحيط ، فصل النون- ٣٥٠/٣.
^(١٢٠) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك- ٧٢/٢ .
^(١٢١) سورة الحجر ، الآية {٤٩} .
^(١٢٢) سورة التوبة ، الآية {٧٠} .
^(١٢٣) المصباح المنير- ٥٩١/٢ .
^(١٢٤) المعجم الوسيط- ٨٩٦/٢ باب النون.

^(١١٥) أساس البلاغة -ج ١/ ص ٢١٣ .
^(١١٦) من الطويل . البيتان ليسا لحنيش بن مالك، وإنما للأخطل. انظرهما في ديوانه، وفي: تاريخ مدينة دمشق -ج ٤٨/ ص ١٢٢* لسان العرب- ج ١/ ص ١٦٤* تاج العروس - ج ١/ ص ٤٤٧ .
^(١١٧) من المتقارب. أنظر لسان العرب-ج ١/ ١٦٥ .
^(١١٨) من الرمل. أنظر تاج العروس- ج ١/ ٤٤٨ .

أهل المدينة جميع ما في القرآن من هذا، واشتقاقه من نَبَأ؛ أي أخبر، والأجود ترك الهمز؛ لأن الاستعمال يوجب أن ما كان مهموزاً من فعيل وجمعه فعلاء، مثل ظريف وظرفاء، فإذا كان آخر الكلمة ياء فجمعه أفعلاء، مثل: غني وأغنياء، ونبي وأنبياء بغير همزة، فإذا همزت قلت: نبيء، وجمعها نُبَاء بالهمزة.^(١٢٥)

التسهيل والإبدال في همزة النبي :

كلمة النبي أصلها النبي بالهمزة من الفعل (نَبَأ) ، بمعنى أخبر، والنبي هو المخبر عن الله - [ ] -^(١٢٦) ومنه قوله تعالى : [ ] وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ^(١٢٧) [ ] ومنه قوله - [ ] : [ ] عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ* عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ^(١٢٨) [ ] . وليس أصل الكلمة (نبا) بالألف؛ لأن معناه ابتعد، وحاد عن طريقه الصحيح، ومن ذلك نبا السيف عن الضرب نبوة، وسيف نابٍ (ولكل صارم نبوة)، ونبا عن فلان: فارقني، ونبا السهم عن الهدف: لم يصبه .

قال الشاعر:

أَنَا السَّيْفُ إِلَّا أَنَّ لِسَيْفِ نُبُوَّةٍ وَمِثْلِي لَا تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهُ^(١٢٩)

وقال ابن الرومي:

وَرَمَى نُحُورَ الْخَائِنِينَ بِسَهْمِهِ وَتَرَأَسَهُمْ قَدْرُ النُّبَاءِ فَمَا نَبَأُ^(١٣٠)

وقال الشاعر في شكايته الإخوان:

وَكُنْتُ أَخِي بِإِخَاءِ الزَّمَانِ فَلَمَّا نَبَأَ صِرْتُ حَزْبًا عَوَانًا
وَكُنْتُ أَدُمُ إِلَيْكَ الزَّمَانَ فَقَدْ صِرْتُ فِيكَ أَدُمُ الزَّمَانَا^(١٣١)

إن الشواهد تؤكد أن الفعل (نَبَأ) معناه أخبر والفعل (نَبَأ) معناه ابتعد عن طريقه. وأن النبي أصله النبي من الفعل {نَبَأ}، والهمزة أصلية، لكن حدث لها تسهيل، وأُسْتُبدلت بالهمزة ياء، وهذه كانت سمة القبائل الحضرية، مثل قريش التي كانت تلجأ إلى تسهيل الهمزة؛ لتسريع طريقة الكلام وتسهيله، عكس القبائل البدوية التي كانت تلجأ إلى تحقيق الهمزة؛ للتحقيق من سرعة الكلام التي اعتاد عليها البدو. والذي يؤكد ذلك ما قاله ابن منظور في لسان العرب، قال أعرابي للنبي - [ ] : يا نبيي الله، فأنكر عليه الرسول قوله النبي بالهمزة؛ لأنه ليس من لغة قريش^(١٣٢). النبي إما أن يكون مأخوذاً من النبوة، وإما أن يكون مأخوذاً من النبأ، وإن كان من النبأ - حينئذ - يكون مهموزاً، وقد يُنطق بالهمز، وقد تحذف الهمزة من باب التسهيل، أو تقلب الهمزة ياء؛ لأنها متطرفة، وتدغم الياء في الياء .

ثالثاً: الدلالة النحوية

للدلالة النحوية أهمية كبيرة في تفسير النص والمساهمة في الوصول إلى المعنى المقصود منه، ومن هنا نتناول الدلالة النحوية لكلمة النبي في القرآن الكريم؛ بغية الوصول إلى دلالتها العامة في الآيات، ومدى توظيف الباب النحوي الذي وردت به

^(١٣١) من المتقارب.

^(١٣٢) لسان العرب-ج ٣١٦/٦ .

^(١٢٥) لسان العرب - ٤٤٩/١٥ .

^(١٢٦) القاموس المحيط - ٢٣/١ .

^(١٢٧) سورة ص ، جزء من الآية { ٢١ } .

^(١٢٨) سورة النَّبَا ، الآيتان { ٢ ، ١ } .

^(١٢٩) من الطويل. أساس البلاغة- ج ٣٧٠/١ .

^(١٣٠) من الكامل. لسان العرب-ج ٤١١/١

هي دلالة لفظ (نبي) بدون الألف واللام في كل الآيات التي وردت بها. أما لفظ (النبي) معرّفاً بـال فكان المقصود به النبي محمد -ﷺ- وقد ورد لفظ النبي في القرآن في ثمان وعشرين آية من آيات القرآن، وسوف نتناول دلالة هذا اللفظ في الآيات من خلال الأبواب النحوية الوظيفية التي وردت بها، ومن خلال السياق العام للآيات.

وقد اقتضت الدراسة للدلالة النحوية لكلمة النبي أن نتناولها على أساس الأبواب النحوية التي ورد بها اللفظ في الآيات القرآنية؛ نظراً لتكرار ورود الكلمة في هذه الأبواب، فقد ورد لفظ الرسول في صيغة النداء في ثلاثة عشر موضعاً بصيغة (يا أيها النبي)، وهذه الصيغة لها دلالات متعددة برغم تكرارها بصيغة واحدة في كل الآيات، وهذا من إعجاز القرآن؛ لأن سياق الآيات يختلف من آية إلى أخرى، وكذلك هذا اللفظ سيختلف دلالاته من آية إلى أخرى -أيضاً- تبعاً لهذا السياق، وللنداء دلالة نحوية خاصة فهو: توجيه الدعوة إلى المخاطب، وتنبيهه؛ للإصغاء، وسماع ما يريده المتكلم. وله حروف كثيرة من أشهرها (يا)، ويقول النحاة في تعريفه: (طلب الإقبال بالحرف يا أو أحد إخوته، والإقبال قد يكون حقيقياً أو مجازياً يراد به الاستجابة، وقد يكون الغرض من النداء تقوية المعنى، وتوكيده^(١٣٦)). ولحرف النداء (يا) خصوصية حذفه

الكلمة. وقد وردت كلمة النبي في القرآن الكريم نكرة ومعرفة، فورد اللفظ بدون (ال) (رسول) في سبع آيات في القرآن، وكانت كلها مجرورة بحرف الجر {من}، أو بإضافتها إلى كلمة (كل)، مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾^(١٣٣)، وقوله: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾^(١٣٤). في هاتين الآيتين وغيرهما من الآيات لم يكن المقصود بكلمة (نبي) محمداً -ﷺ- وإنما المقصود بها أي نبي، سواء سيدنا محمد، أو غيره من الأنبياء، وكانت هذه الآيات تثبيتاً للرسول -ﷺ- وأن كل الأنبياء قبله تعرضوا للأذى، ونالهم ما ناله منه، وأن إعراضهم عن الإصغاء لدعوة القرآن، ثم وجه الكلام إلى النبي؛ تسلياً له عما يلاقيه منهم من الأذى والاستهزاء، بتذكيره بأن حاله في ذلك حال الرسل من قبله، ووعد النبي بالنصر على قومه بتذكيره لسنة الله في الأمم التي تكذب رسلهم، وجعل التسلية المقام الأول في هذا الآيات. و(كم) اسم دال على عدد كثير مبهم، والداعي إلى اجتلاب اسم العدد الكثير أن كثرة وقوع هذا الحكم أدخل في زجرهم عن مثله، وأدخل في تثبيت الرسول -ﷺ- وتحصيل صبر؛ لأن كثرة وقوعه تؤذن بأنه سنة لا تتخلف. وذلك أجزر لهم، وأسلمى للرسول -ﷺ-^(١٣٥)! هذه

^(١٣٣) سورة الأنعام، الآية {١١٢}.^(١٣٤) سورة الزخرف، الآية {٦}.^(١٣٥) التحرير والتنوير - ١٦٥/٢٥.^(١٣٦) ((دستور العلماء - ج ٣/ص ٢٧٤ * النحو الوافي - ٣/٤.

مع بقاء عمله دون غيره من حروف، ومن ذلك قول الشاعر:

إِنَّمَا الْأَرْضُ وَالْفَضَاءُ كِتَابٌ فَأَقْرَأُوهُ مَعَاشِرَ الْأَذْكَيَاءِ (١٣٧)

والتقدير: يا معشر الأذكياء. ويمتاز هذا الحرف - أيضا - بأنه أكثر حروف النداء استعمالا ؛ لدخوله على أقسام المنادي الخمسة، وينادي به - أيضا - لفظ الجلالة (الله)، ولا ينادى بغيره من حروف النداء، ويستخدم - أيضا - في نداء (أيها - أيتها)، ولم يشتهر عند العرب أنهم استعملوا في نداء هذه الأشياء حرفا آخر (١٣٨). ولم ينادَ النبي - ﷺ - إلا بصيغة (يا أيها النبي)، وفي هذه الصيغة التعظيم والتشريف للنبي، يقول الزمخشري: "جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله: (يا أيها النبي) (ويا أيها الرسول)، وترك نداءه باسمه، كما قال: يا آدم، ويا موسى، يا عيسى، يا داود؛ كرامة له، وتشريفا، وتنوينا بفضلها (١٣٩).

وقد نادى الله - ﷻ - نبيه بصيغة (يا أيها النبي) في ثلاثة عشر موضعا في القرآن الكريم. قال تعالى: ﷻ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٠) فكلمة النبي في هذه الآية بدل من (أي)، وهي واجبة الرفع تبعا لموقع (أي)؛ لأنها بدل منها (١٤١). وتصدرت الآية بحرفي النداء والتنبيه؛ تنبيها للنبي - ﷻ - بمضمون الآية، وأهمية ما ورد بها

من حكم يجب أن ينتبه له النبي. وفي لفظ النبي إعلاء لمكانة الرسول - ﷺ - ومعنى هذه الآية: يا أيها النبي إن الله كافيك في جميع أمورك، وفيما بينك وبين الكفار، فيما يخص نبوتك ورسالتك (١٤٢). وقال - في الآية التالية لهذه الآية : ﷻ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٤٣). في هذه الآية أعاد الله - ﷻ - النداء للنبي محمد - ﷺ - للتنويه بشأن الكلام الوارد بعد النداء، وهذه الآية تتم المعنى المقصود في الآية الأولى؛ لأنه لما تكفل الله للنبي بالحماية والكفاية هو والمؤمنين، أمرهم بالقتال، حتى وإن كانوا قليلي العدد، فإن الله يكفيهم من المشركين (١٤٤)، وقد وعدهم الله بالنصر على عدوهم؛ عدوهم؛ لأن عدوهم قوم جهلة لا يعلمون. وفي السورة نفسها: ﷻ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤٥). في هذه الآية تنبيه ونداء للمرة الثالثة من الله للنبي، واستئناف الكلام وخطاب النبي يتعلق بحال سرائر بعض أسرى بدر، بعد أن كان الخطاب متعلقا بتحريض النبي للمؤمنين على القتال، وحثهم عليه. (١٤٦)

(١٣٧) من الخفيف. تاج العروس - ج ٤/٢١٢.

(١٣٨) النحو الوافي - ٤/٤٨.

(١٣٩) الكشف - ٣/١٨٥.

(١٤٠) سورة الأنفال، الآية { ٦٤ }.

(١٤١) الجدول من إعراب القرآن - ١٠/٢٥٨.

(١٤٢) روح المعاني - ٥/٢٢٦.

(١٤٣) سورة الأنفال، الآية { ٦٥ }.

(١٤٤) التحرير والتنوير - ١٠/٦٦.

(١٤٥) سورة الأنفال، الآية { ٧٠ }.

(١٤٦) التحرير والتنوير - ١٠/٦٦.

وفيها - أيضا- أمر للنبي بعد النداء بأن يقول لمن أسره في بدر ألا يأسوا على الفداء الذي أخذ منهم من المال، بأن ييسر لهم من فضله خيرا كثيرا. (١٤٧)

وفي سورة التوبة قال الله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّرُ الْمَصِيرُ ﴾ (١٤٨). وهذا نداء وتنبيه، ثم أمر مباشر للرسول من الله - سبحانه وتعالى- بمجاهدة الكفار بالسيف ، والمنافقين بالكلام، وأذهب الرفق عنهم. (١٤٩) أما في سورة الأحزاب ذكر لفظ النبي في اثنتي عشر موضعا، وهي أكثر السور التي ذكر فيها لفظ النبي، وقد بدأت بقوله ﴿: يا أيها النبي﴾، وفي ذلك تنبيه بما في هذه السورة من أحكام، قال في أول آية في السورة : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١٥٠). وفيها تنبيه من الأعلى إلى الأدنى، من الله إلى رسوله، ونداء وأمر بالنقوى، ومن تعريفات النقوى: أن يعمل بطاعته على نور الله، ويرجو ثوابه (١٥١). قال الألوسي: ناداه الله -جل وعلا- بوصفه دون اسمه؛ تعظيما له، وتشريفا للنبي ﴿:﴾! (١٥٢).

وفي السورة ذاتها : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَوْدَعَهَا فِي هَلْ عَسَفَتْ عَلَيْكُمْ قُلْ لَا يُغْنِي عَنْكُمْ كُنُوزُهُمْ وَلَا أُزْوَاجُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ (١٥٣). وهذه الآية تتصل بما قبلها من الآيات؛ لأنه لما فتح الله أرض بني قريظة، وغنم منها المسلمون أموالهم وديارهم حسب أزواج النبي أن مثله مثل أحد من المسلمين إذا وسع عليه الرزق توسع فيه، ولما رأين وفرة ما أفاء الله على رسوله من أموال استكثرته من النعم والنفقة، فأوحى الله لرسوله ما في هذه الآية من أحكام (١٥٤). وقد روي أن بعضهن سألته أشياء من زينة الدنيا، فأوحى إلى رسوله بهذه الآيات المتتابعات، وافتتاح هذه الأحكام بنداء النبي -﴿:﴾ (يا أيها النبي) تنبيه على أن ما سيذكر بعد النداء له مزيد اختصاص به، وهو غرض تحديد سيرة أزواجه معه، سيرة تناسب مرتبة النبوة (١٥٥). وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (١٥٦). وفي هذه الآية نداء خاص بعد النداء العام للمؤمنين، والرسول إمامهم ورسولهم، وفي هذا النداء دلالة مزيد من التكريم للرسول، وتشريف له، وتكليفه بالرسالة والتبليغ، ومن ثم الشهادة عليهم يوم القيامة، وهذا هو النداء الثالث في هذه السورة للرسول -﴿:﴾- فالنداء الأول كان متعلقا بذات النبي، والنداء الثاني يتعلق بحال النبي مع زوجاته، وبعد ذلك ناداه الله بأوصاف، وأودعها فيه للتتويه بشأنه ومقداره عند الله، وبين له بعد ذلك أركان رسالته (١٥٧).

(١٤٧) التفسير الميسر- ١/١٨٦.

(١٤٨) سورة التوبة، الآية {٧٣}.

(١٤٩) تفسير ابن كثير- ٤/١٧٨.

(١٥٠) سورة الأحزاب، الآية {١}.

(١٥١) تفسير ابن كثير- ٤/١٧٨.

(١٥٢) روح المعاني- ١٦/٢٨.

وفي السورة ذاتها : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَوْدَعَهَا فِي هَلْ عَسَفَتْ عَلَيْكُمْ قُلْ لَا يُغْنِي عَنْكُمْ كُنُوزُهُمْ وَلَا أُزْوَاجُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ (١٥٣).

(١٥٣) سورة الأحزاب، الآية {٢٨}.

(١٥٤) أيسر التفاسير- ٢/٤٦.

(١٥٥) التحرير والتنوير- ٢١/٣١٦.

(١٥٦) سورة الأحزاب، الآية {٤٥}.

(١٥٧) أيسر التفاسير- ٣/٢٩٣.

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي أَتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكِ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَكْحِهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا^(١٥٨)﴾. في هذه الآية ذكر لفظ النبي ثلاث مرات، الأولى: (يا أيها النبي)، والثانية: (إن وهبت نفسها للنبي)، والثالثة: (إن أراد النبي). ولكل حالة من هذه الحالات دلالتها الخاصة بها، فقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ نداء رابع للنبي في هذه السورة، وفي تكرار النداء والتنبيه دلالة مهمة، وهي أهمية الأحكام التي يراد للنبي أن ينتبه إليها، وهذا النداء الرابع للنبي فيه شأن خاص به، وهو بيان ما أحل له من الزوجات والجواري، وما يزيد عليه وما لا يزيد^(١٥٩). وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ إن وهبت نفسها للنبي يعني أنها تكون ملكا للنبي دون صداق، وتكون كالمستوفية حقها ومهرها^(١٦٠). وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَكْحِهَا﴾ إسناد الفعل (أراد) إلى النبي إشارة دلالية إلى أن هبتها نفسها للنبي لا بد معها من قبول النبي- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾^(١٦١).

وفي سورة الحجرات في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ^(١٦٢)﴾ قد جاءت كلمة النبي مضافة إلى كلمة (صوت)، ومعلوم دلالة الإضافة الناتجة من تضام كلمتين وإضافتها، وإنتاج معنى جديد مكون من الكلمتين المتضامتين، وفي هذه الآية جاء النداء للمؤمنين لتنبيههم إلى أمر مهم، هو ألا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي -﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾- وهذا هو النداء الثاني للمؤمنين للاهتمام بهذا الأمر، والإشعار بأنه عرض جديد وهو جدير بالتنبيه عليه، وكرر النداء؛ حتي لا ينغمر في الغرض الأول؛ لأن ذلك من آداب سلوك المؤمنين في معاملة النبي ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾^(١٦٣).

هذا، وقد جاء لفظ النبي منصوبا على المفعولية في أكثر من آية من آيات الذكر الحكيم. وللمفعولية دلالة نحوية مهمة، فالمفعول هو "ما وقع عليه فعل الفاعل، والذي ينصب المفعول هو الفعل المتعدي وحده دن اللازم"^(١٦٤). أما قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ فالله وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(١٦٥)﴾ فالنبي في الآية منصوب على المفعولية، وأن الإيذاء واقع على الرسول، والتعبير بالنبي إظهار في مقام الإضمار؛ لأن الآية التي قبلها: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي

^(١٦٢) سورة الحجرات، الآية {٢}.

^(١٦٣) التحرير والتنوير - ٢٦/٢١٩.

^(١٦٤) (٣) النحو المصفي - ٤٢٢.

^(١٦٥) سورة التوبة، الآية {٦١}.

^(١٥٨) سورة الأحزاب، الآية {٥٠}.

^(١٥٩) التحرير والتنوير - ٦٣/٢٢.

^(١٦٠) التفسير الكبير - ٣٦٦/١٢.

^(١٦١) التفسير الكبير - ٣٦٦/١٢.

ذكرنا في البداية أن الرسول مشتق من الإرسال ، وهو التابع من الفعل رسل، وأن الرسول هو الشخص الذي يتابع أخبار الذي بعثه. والنبى مشتق من النبأ وهو الخبر، وسُمي بذلك لأنه مُخبر من الله ، ومُخبر لغيره من البشر، ولكن هناك فرق بينهما من الناحية الشرعية يدل على ذلك قول الله -ﷻ- ﴿وَأُذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(١٧٣)، فقد وصف الله -ﷻ- موسى -ﷻ- بالنبوة والرسالة؛ مما يدل على أن الرسول غير النبي، وقد ورد أن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، والمرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر^(١٧٤). والنبي هو مَنْ بُعث لتقرير شرع سابق، والرسول مَنْ بعثه الله بشريعة يدعو الناس إليها، سواء كانت جديدة أو مُنقَّدة. والرسول مَنْ أُوحي إليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع مَنْ قبله.

الخاتمة

يُمْكِنُنَا مِمَّا قَدْ سَلَفَ مِنْ تَطَوُّافِ الْخُلُوصِ إِلَى مَا يَلِي:

أولاً: أظهرت الدراسة الأثر الذي تركته الدلالة النحوية لكلمتي {الرسول والنبى} في تفسير الآيات التي ورد ذكرهما فيها من خلال السياق العام لهذه الآيات؛ حيث عرضت الدراسة لبعض النماذج من هذه الآيات، وأهمية المعيار السياقي في الدرس

الصدقات^(١٦٦)، وكان مقتضى الظاهر أن يقال (يؤذونك)، فعدل عن هذا الإضمار إلى إظهار وصف النبي؛ للإيدان بشناعة قولهم، ولزيادة تنزيه النبي بالثناء عليه بوصف النبوة^(١٦٧). وهؤلاء فريق كانوا يقولون في حق النبي -ﷻ- ما يؤذيه بقولهم هو (أذن) والأذن هو الإضرار؛ لأنهم يقولون هو أذن أي يسمع كل ما يقال له، ويصدق حقا كان أو باطلا، وكل ذلك كان يؤذيه، ويوقع عليه الأذى^(١٦٨). وهذه هي دلالة لفظ النبي في وظيفة المفعولية في سياق هذه الآية.

وفي قوله سبحانه: ﷻ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا^(١٦٩) ﷻ لفظ النبي منصوب على المفعولية^(١٧٠)؛ دلالة على أن هؤلاء كانوا يستأذنون النبي -ﷻ- بالعودة إلى منازلهم ، بحجة أنها غير محصنة ، وأنهم يخشون عليها ، والحق أنها ليس كذلك، كما قال ﷻ: ﷻ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ﷻ، وما قصدوا بذلك إلا الفرار من القتال^(١٧١)، وجاء الفعل على صيغة المضارعة؛ لأنهم كانوا يلحون في الاستئذان، ويكررونه على النبي^(١٧٢).

الفرق بين الرسول والنبى:

^(١٦٦) سورة التوبة ، جزء من الآية { ٥٨ } .

^(١٦٧) التحرير والتنوير - ٢٤١/١ .

^(١٦٨) ابن كثير - ١٤١/١ .

^(١٦٩) سورة الأحزاب ، الآية { ١٣ } .

^(١٧٠) إعراب القرآن وبيانه - ٦٠٤/٧ .

^(١٧١) التفسير الميسر - ٤١٩/١ .

^(١٧٢) التحرير والتنوير - ٢٨٥/٢١ .

^(١٧٣) سورة مريم ، الآية { ٥١ } .

^(١٧٤) تفسير البيضاوي - ٤٩٦ .

النصي، حيث كان الفيصل في ترجيح الأصوب تفسيراً وإعراباً، والكاشف لدور هذه المفردات في الدلالة العامة للنص.

ثانياً: كان لابد في دراسة هذين اللفظين من تناول الدلالة المعجمية والصرفية؛ لأن ذلك يزيد المعنى وضوحاً، إذ لا يمكن بحال من الأحوال الاعتماد على عنصر واحد من عناصر اللغة (المعجم - الصرف - النحو - الأصوات - الدلالة) في توضيح النص، ولا بد من تصافر هذه العناصر اللغوية في الوصول إلى معنى النص، وهذا ما فعله القدماء في تناول النص القرآني بالشرح والتفسير، فقد استعانوا بكل العلوم الإسلامية والعربية في تفسير القرآن.

ثالثاً: ورد ذكر لفظي {الرسول، والنبى} في القرآن نكرة ومعرفة، ومن خلال الرجوع إلى التفاسير التراثية والحديث اتضح أن صيغة النكرة لم يكن المقصود بها محمد -ﷺ- ولكن كان يقصد بها أي رسول، سواء سيدنا محمد -ﷺ- أو غيره من الأنبياء والرسول، أما اللفظان في المعرفة (النبى - الرسول) فأكثر هذه الآيات كان المقصود بها محمد -ﷺ-.

رابعاً: أظهرت الدراسة الدلالة المهمة للنداء الذي أتى بصيغة (يا أيها النبي)؛ تعظيماً وتشريفاً للنبى، وتنبهها له إلى أمر مهم، أو إلى حكم لا بد أن ينتبه إليه الرسول -ﷺ-.

خامساً: أثبتت الدراسة أن الدرس النصي و علم الدلالة لهما جذور وإشارات مهمة في مؤلفات

القدماء، مثل سيبويه، وعبد القاهر الجرجاني، وابن جني، وغيرهم من علماء التفسير واللغة.

سادساً: يُعَدُّ النحو -بشقيه نحو جملة ونحو النص- من أهم العلوم التي يعتمد عليها المفسرون لكتاب الله -ﷻ- وذلك راجع إلى أن أي نص صحيح المعنى لا بد أن يعتمد على نظام نحوي محكم صحيح القواعد، وإلا كان كلاماً لا معنى له.

سابعاً: أبرزت الدراسة الوظيفة النحوية لكلمتي {النبى والرسول}، مثل الفاعلية والمفعولية والنداء وغيرها من الوظائف النحوية، وأثر هذه الوظائف في المعنى النصي العام للآيات القرآنية التي ورد بها ذكر هذين اللفظين.

ثامناً: ظهر من خلال البحث في الدراسة المعجمية لكلمتي {الرسول والنبى} أن المعنى اللغوي والمعنى الشرعي لهذين اللفظين متقاربان في الدلالة على سمو المنزلة وعلوها، وعلى التتابع والاستمرار كذلك.

تَبَيَّنَ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر والمراجع:

١- الإبداع الموازي: التحليل النصي للشعر، أد/ محمد حماسة عبداللطيف - دار غريب - ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١ م.

٢- إحكام الأحكام في شرح عمدة الإحكام لمحمد بن علي وهب بن مطيع المعروف بابن دقيق العيد - تح/ محمد منير عبده - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ٢٠٠١ م.

- ٣- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى- دار الكتاب الإسلامي -القاهرة- ١٩٩٢م - ط٢.
- ٤- أصول النحو دراسة في فكر الأنباري، دكتور محمد سالم صالح- دار السلام- ٢٠٠٩.
- ٥- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس- عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م - الطبعة الثالثة- تحق/ د. زهير غازي زاهد
- ٦- إعراب القرآن وبيانه محيي الدين مصطفى درويش- دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص سورية - الطبعة الرابعة- ١٤١٥هـ.
- ٧- أنوار التنزيل واسرار التأويل لناصر الدين البيضاوي، تح/ محمد المرعشلي- دار إحياء التراث -الطبعة الأولى- القاهرة.
- ٨- أوضح المسالك لألفية ابن مالك، لابن هشام الأنصاري- تح/يوسف الشيخ محمد البقاعي - دار الفكر.
- ٩- أيسر التفاسير، لأبي بكر الجزائري - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة بالسعودية- الطبعة الخاصة ٢٠٠٣م.
- ١٠- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي تحقيق صدقي محمد جميل الناشر دار الفكر
- ١١- البحر المديد لابن عجيبة، تح/ أحمد عبد الله رسلان- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الثانية.
- ١٢- التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري، تح/ على محمد الجاوي- القاهرة- ١٩٩٧م.
- ١٣- التحرير والتنوير للطاهر، لابن عاشور- دار التونسية - ١٩٨٤.
- ١٤- تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الاندلسي تح/عبد السلام عبد الشافي محمد- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى- ١٤٢٢هـ.
- ١٥- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القاهرة الدمشقي- تح/ سامي بن محمد سلامة- دار طيبة للنشر والتوزيع - الطبعة الثانية- ١٩٩٩م.
- ١٦- تفسير أبي بكر الرازي (التفسير الكبير)، للإمام فخر الدين الرازي المتوفي سنة ٦٠٦.
- ١٧- تفسير البيضاوي، البيضاوي - دار الفكر - بيروت.
- ١٨- تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، لمحمد بن جريد الطبري ، تح/ احمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - ٢٠٠٠م.
- ١٩- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام البيان)، لأبي محمد شمس الدين القرطبي ، تح/ أحمد البردوني ، وإبراهيم أطفيش -دار الكتب المصرية -القاهرة - الطبعة الثانية- ١٩٦٤م.

- ٢٠- الجدول في إعراب القرآن، محمود صافي- دار الرشيق -دمشق -الطبعة الرابعة.
- ٢١- الخصائص، لابن جني- تح/ محمد علي النجار- ط٢-بيروت.
- ٢٢- الدر المصون ، للسمين الحلبي ، تح/ أحمد محمد الخراط- نشر دار القلم دمشق.
- ٢٣- دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري- دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م- ط١- تحقيق : عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص.
- ٢٤- دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤١٥هـ ١٩٩٥م - الطبعة الأولى- تحق/ د . التتجي.
- ٢٥- روح المعاني للألوسي، تح/ على عبد الباري عطية - دار الكتب- بيروت -الطبعة الأولى.
- ٢٦- شرح الكافية الشافية، لابن مالك- تح/ الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي- جامعة أم القرى- ط١.
- ٢٧- العربية وعلم اللغة البنيوي ، حلمي خليل- دار الشروق- القاهرة.
- ٢٨- علم الدلالة، للدكتور أحمد مختار عمر- عالم الكتب - القاهرة - ٢٠٠٩ -الطبعة الرابعة- ١٩٩٣م.
- ٢٩- علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، د/سعيد حسن بحيري- طبعة مؤسسة المختار - الطبعة الأولى- ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٤م.
- ٣٠- غريب الحديث، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٥ - ١٩٨٥- الطبعة الأولى - تح/الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي.
- ٣١- القاموس المحيط، للفيروز أبادي- تح/ مؤسسة الرسالة.
- ٣٢- الكشف ، للزمخشري، تح/ يوسف الحمادي - مكتبة النصر- القاهرة- ١٩٩٢م.
- ٣٣- لسان العرب لابن منظور، تح/ عبد الله على الكبير ، وآخرون - دار المعارف- القاهرة- ١٩٩٤.
- ٣٤- مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتح/ محمد على دار القرآن الكريم - لبنان - الطبعة السابعة- ١٩٩٦.
- ٣٥- المخصص لابن سيده، تح/ خليل إبراهيم - دار إحياء التراث الطبعة الأولى- بيروت- ١٩٩٦م.
- ٣٦- المصباح المنير، للحموي - المكتبة العلمية- بيروت- تح/ أحمد بن محمد الفيومي الحموي- ١٩٨٤.
- ٣٧- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تح/ عبد الجليل عبده شلبي- علم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى- ١٩٨٨.
- ٣٨- المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ، وأحمد الزيات ، وحامد عبد القادر ، ومحمد النجار- دار الدعوة - القاهرة - ١٩٩٥.

- ٣٩- مغني اللبيب لابن هشام، تح/ محمد محي الدين - دار إحياء الكتب - المكتبة العصرية- بيروت-١٩٩٢.
- ٤٠- مفاهيم نقدية، لرنية ويلك، ترجمة : دكتور محمد عصفور - عالم المعرفة-١٩٩١.
- ٤١- المفصل للزمخشري، تح/ علي أبو ملحم- دار الهلال- بيروت-١٩٨٤م.
- ٤٢- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية لدولة الكويت/ الأجزاء ١ - ٢٣ : الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت/ الأجزاء ٢٤ - ٣٨ - الطبعة الأولى- مطابع دار الصفوة - مصر /الأجزاء ٣٩ - ٤٥ : الطبعة الثانية ، طبع الوزارة - الكويت ،مصر - من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ / الأجزاء ١ - ٢٣ : الطبعة الثانية، الأجزاء ٢٤ -
- ٣٨ الطبعة الأولى/الأجزاء ٣٩ - ٤٥ : الطبعة الثانية .
- ٤٣- النحو المصنّف، محمد عيد- مكتبة الشباب - القاهرة-٢٠٠١.
- ٤٤- نحو النص بين الأصالة والحداثة، أحمد محمد عبد الراضي- إصدار ونشر: المؤتمر العلمي التاسع لكلية دار العلوم- ٢٠٠٧م.
- ٤٥- النحو الوافي، عباس حسن - دار المعارف- القاهرة- ط٢٠٠٧.
- ٤٦- النحو والدلالة ، محمد حماسة عبد اللطيف- دار الشروق -القاهرة - الطبعة الأولى- ٢٠٠٠م.
- ٤٧- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري - المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م- تح/ طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي

e Prophet and the Messenger in the Holy Quran are a textual grammatical study

Dr.abdullah Mustafa M. Alshanqiti

Abstract. the two words (the Messenger and the Prophet) have been mentioned in various places in the book of our dear Lord. Sometimes the two words come together in one verse, and at other times they come separately, and in a particular surah the word is repeated from them without the other. , And the word “Messenger” was not used. Likewise, in the parties the word “Prophet” was used twelve times, and the word “Messenger” was used once.

For this purpose, the research has dealt with the syntactic and semantic effect on the Qur’anic text of the word “the Messenger” lexically, grammatically, morphologically and semantically, as well as the syntactic and semantic effect of the word (the Prophet) from the lexical and morphological point of view, and in terms of their lexical, morphological and syntactic, and in terms of their lexical, morphological and syntactic. Examining it in the context of each topic you have mentioned; For the sake of deducing their contents and deducing their syllables.